

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

وصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنموذجا

أ. يوسف بن شيخ

جامعة الجلفة

مقدمة:

الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وعلى آله وصحبه الذين ساروا في نصرة دينه سيرا حثيثا، وعلى التابعين وتابعي تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

يعتبر الإسلام من أعظم النعم التي أنعمها الله على عباده المسلمين، فهو يمثل دستورهم في تنظيم حياتهم الدينية والدنيوية، والأساس لتنظيم علاقات المسلمين فيما بينهم وبين غيرهم من الأمم غير المسلمة، لهذا كان مبدأ الإسلام هو السلام، فقد أحدث النبي - صلى الله عليه وسلم - علاقات سلمية بين أفراد مجتمعه الجديد مبعدا في ذلك كل الاختلافات والفوارق الدينية والعرقية واللونية، وغيرها، فهو يحقق بذلك مبدأ التقوى في نفوس المسلمين قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ⁽¹⁾

إن الإسلام يهدف إلى تحقيق السلم والأمن في المجتمع الإنساني، وإن المنتبِع لآيات الله يجد أن لفظ السلم وما اشتق منه ورد فيما يزيد على مائة وأربعين آية في حين لم يرد لفظ الحرب وما اشتق منه في القرآن كله إلا في ست آيات فقط، والمنتبِع لسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام يجد أن نبينا محمدا - صلى الله عليه وسلم - مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد ومكارم الأخلاق ومحاربة الشرك، وفي مقابل ذلك تلقى النبي - صلى الله عليه وسلم - الأذى الشديد من المشركين، لكنه صبر واحتسب أمره الله عز وجل، وواصل دعوته في بث مكارم الأخلاق في النفوس بالموعظة الحسنة، ومجادلة أهل الكتاب بالحسنى ممثلا قول الله تعالى في ذلك: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ⁽²⁾، وإن قتال النبي - صلى الله عليه وسلم - للأعداء لم يكن إلا لدفع الاعتداء والفتنة وتأمين الدعوة من العدوان الخارجي، فقد قال الله تعالى: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ⁽³⁾، قال عبد الرحمان بن ناصر السعدي - رحمه الله - هذه الآية تضمنت الأمر بالقتال في سبيل الله، وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة، لما قوي المسلمون للقتال، أمرهم الله به بعد ما كانوا مأمورين بكف أيديهم، وفي تخصيص القتال في سبيل الله حث على الإخلاص ونهي عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين⁽⁴⁾. وما صورته المتعصبون من الغربيين ومن

(1) سورة الحجرات، الآية: 13 .

(2) سورة النحل، الآية: 125

(3) سورة البقرة، الآية: 190 .

(4) عبد الرحمان ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، مكتبة المعارف- الرياض، ط1: 1999

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

أعداء الإسلام أن الجهاد في سبيل الله هو حرب دينية لإكراه الناس على الإسلام، فهذا أمر ليس بصحيح، بل دعوى باطلة لا مستند لها .

من خلال هذه الديباجة يمكن طرح إشكالية رئيسية مفادها كالتالي: ما مدى مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب ؟ ويندرج تحت الإشكالية قضايا وتساؤلات فرعية: ما هي المبادئ الإنسانية والقيم المثلى التي نص عليها الإسلام في الحرب ؟ كيف عامل النبي - صلى الله عليه وسلم - أعداءه أثناء وبعد الحرب؟ هل انتشر الإسلام بحد السيف أم بطريق الدعوة والمعاملة الحسنة والسلم ؟

للإجابة على هذه الإشكاليات اتبعت الخطة التالية:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للحرب

المطلب الأول: تعريف الحرب

المطلب الثاني: الحالات المشروعة في الإنز بالحرب

المبحث الثاني: المبادئ الإنسانية في التعامل مع الأعداء أثناء وبعد الحرب

المطلب الأول: المبادئ الإنسانية في التعامل مع الأعداء أثناء الحرب

المطلب الثاني: المبادئ الإنسانية في التعامل مع الأعداء بعد الحرب

الخاتمة:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للحرب

المطلب الأول: تعريف الحرب

الفرع الأول: في الفقه الإسلامي

لغة: الحربُ نقيضُ السلم، تُؤنَّثُ، فيقال: وقعت بينهم حربٌ وتصغيرها حُرْبٌ، وقد تُذَكَّرُ، ج حُرُوبٌ. ودارُ الحربِ بلادُ المُشْرِكِينَ الذين لا صلحَ بيننا وبينهم. ورجُلٌ حربٌ ومِحْرَبٌ ومِحْرَابٌ شديدُ الحربِ شجاعٌ . ورجُلٌ حربٌ عدُوٌّ مُحَارِبٌ، وإن لم يكن مُحَارِباً، لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى (1)

اصطلاح: وردت كلمة حرب في القرآن الكريم بمعنى القتال كما في هذه الآيات كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ (2)؛ أي كلما جمعوا وأعدوا شنت الله جمعهم، فإِذَا تَتَفَقَّهُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (3)؛ أي في القتال، فإِذَا مَنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا (8)؛ أي حتى تأمنوا وتضعوا السلاح (4) .

وفي الحقيقة نجد أن الإسلام عبر عن الحرب بالجهاد؛ لأن الحرب تكون للعدوان، والجهاد في اللغة محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل، وأيضا هو المبالغة واستفراغ

بيروت، ط1: 2000 69/4 .

(1)

(2) سورة المائدة، الآية: 64 .

(3) سورة الأنفال، الآية: 57 .

(4) سورة محمد، الآية: 04 .

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

الوسع في الحرب، أو اللسان أو ما أطاق من شيء⁽¹⁾، أما التعريف الاصطلاحي فقد عرفه الفقهاء بتعريفات كثيرة هي:

1- الحنفية: هو بذل الوسع والطاقة في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبلغة في ذلك⁽²⁾.

2- المالكية: هو قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى أو حضوره له أو دخول أرض له⁽³⁾

3- الشافعية: هو قتال الكفار لنصرة الإسلام، ويطلق أيضاً على جهاد النفس والشيطان⁽⁴⁾.

4- الحنابلة: قتال الكفار خاصة بخلاف المسلمين من البغاة وقطاع الطريق⁽⁵⁾.

من خلال هذه التعريفات يمكن أن نطلق على الجهاد هو بذل الجهد في سبيل الله لإظهار الإسلام وإقامة العدل دون أن يكون للمسلمين أغراض مادية أو نزعة عصبية.

الفرع الثاني: في القانون الدولي

الحرب هي نزال بين قوتين مسلحتين لدولتين متنازعتين⁽⁶⁾، وفي التعريف التقليدي عند رجال القانون الدولي هو أن الحرب مسلح بين دولتين أو بين فريقين من الدول، ويكون الغرض منه الدفاع عن حقوق ومصالح الدول المحاربة، فالحرب لا تكون إلا بين الدول وأما النضال المسلح الذي قد يقع بين بعض الجماعات داخل دولة ما، أو الذي تقوم به جماعة من الأفراد ضد دولة أجنبية فلا يعتبر حرباً ولا شأن للقانون الدولي العام به، بل يخضع لأحكام القانون الجنائي الدولي التي يحدث فيها⁽⁷⁾.

من خلال التعريفين -الفقه الإسلامي والقانون الدولي- نجد أنهما يتفقان في أن الحرب تكون بين دولتين مسلحتين، ووسيلة من وسائل حل النزاع إذا لم تتجح الوسائل السلمية، ويختلفان في الغرض والهدف، فالحرب عند فقهاء القانون الدولي هي الدفاع عن حقوق ومصالح الدول المحاربة، أما عند فقهاء الإسلام فهي رد العدوان ضد المسلمين وإقامة العدل وإعلاء راية الإسلام، وفي هذا الصدد يقول الشيخ علي الطنطاوي: إن الذين يحسبون الجهاد عدواناً مسلحاً، لا يدرون ما الجهاد، الجهاد ليس حرباً هجومية نعتدي فيها على الناس، والإسلام إنما جاء لإقرار العدل وتحريم العدوان، وليس الجهاد حرباً دفاعية بالمعنى العسكري، فما احتل الكفار مكة ولا المدينة، ولكن مثل الجهاد كقطر كبير أصابه القحط، فشحت الأقوات وعمّ الجوع، وفشت الأمراض وقلّ الدواء، فجاء من يحمل المدد إلى الجائعين، والدواء إلى المرضى لينقذهم مما هم فيه، فوقف في الطريق ناس يمنعونهم، يحولون بينهم وبين هذا الخير وهذا العمل الإنساني، فقالوا لهم: تعالوا شاركونا فيما نعمل تكونوا مثلاً، ولكم ما لنا وعليكم ما علينا، فأبوا عليهم، فقالوا لهم: دعونا نمرّ ونحن ندافع

(1) وهبة الزحيلي، آثار الفقه الإسلامي دراسة - بيروت، ط3: 1998 31.

(2) 225/3.

(3) الكسائي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط1: 1328هـ، 97/7.

(4) الرصاع، شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تحقيق: محمد أبو جفان، الطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي-بيروت، القسم الأول، ط1: 1993 220.

(5) عبد الله الشرقاوي، حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب، مطبعة الحلبي، ط: 1941 391/2.

(6) البهوتي، شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، عالم الكتاب، (د.ت.ط)، 617/1.

(7) علي منصور، الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، إشراف: محمد توفيق عويضة، ط: 1971م، القاهرة، ص233.

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

عنكم، لا نكلفكم قتال عدو ولا بذل روح على أن تمدونا بشيء من المال قليل . قالوا: لا، فلم يبق إلا أن يقاتلوه، أن يقاتلوا هذه الفئة القليلة التي تمنع الخير عن الناس، يقاتلون أفراداً لينقذوا أمماً، وكان ذلك هو الجهاد (1).

المطلب الثاني: الحالات المشروعة في الإذن بالحرب

الفرع الأول: في الفقه الإسلامي

عند التقصي لسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام نجد أن الحالات التي يشرع فيها الجهاد هي: أولاً: الدفاع عن النفس ودفع الاعتداء عن البلاد الواقع بالفعل دون مجاوزة الحد أو القدر اللازم لرد العدوان، قال تعالى: *فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ* (2) ثانياً: نصرة المظلوم فرداً أو جماعة قال تعالى: *وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً* (3)، وقد ناصر رسول الله عليه الصلاة والسلام خزاعة على قريش عندما نقضت قريش العهد والميثاق الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأصابوا من خزاعة ما أصابوا، فكان ذلك مما هاج فتح مكة (4)، وأقر حلف الفضول (21)، عن طلحة بن عبد الله بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت» (5) .

الفرع الثاني: في القانون الدولي

الحرب في القانون الدولي مازلت مشروعة إذا اضطرت الدولة إلى اللجوء إليها لدفع اعتداء واقع عليه أو لحماية حق ثابت لها أنتهك دون مبرر (6)، ولقد نصت المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة على هذا الحق فقالت: ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينقص الحق الطبيعي للدول فرادى أو جماعات في الدفاع عن أنفسهن إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة، وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي .

من خلال الحالات المشروعة في الإذن بالحرب في الفقه الإسلامي والقانون الدولي يمكن الإجابة على الإشكالية التي مفادها هل انتشر الإسلام بحد السيف أم بطريق الدعوة والمعاملة الحسنة والسلم؟ إن المتتبع لسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام يدرك جيداً أن الإسلام انتشر باللين والمعاملة الحسنة، ففي بداية النبوة لم يدخل الإسلام إلا العدد القليل، بل أكثرهم الضعفاء والعيبد، وبسعة صدر نبينا محمد -

(1) وهبة الزحيلي، آثار الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، ص 35 .

(2) الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح، جمع وترتيب: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة - 2008 : 137-136 .

(3) سورة البقرة، الآية: 194 .

(4) سورة البقرة، الآية: 75 .

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر - بيروت، ط 1: 2003 25/4 .

(6) وهبة الزحيلي، آثار الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، ص 93 .

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

صلى الله عليه وسلم - ورحمته توسعت دائرة الإسلام ودخل الكثير من الناس قال الله تعالى: فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ غَلِيظُ الْقُلُوبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكُمْ⁽¹⁾، والحق أن الذي يدعي أن الإسلام انتشر بحد السيف إنما هو يريد تنفير الناس من الإسلام، والمتتبع لآيات الله يدرك أن الإسلام دين حرية وليس إلزام قال تعالى: لا إكراه في الدين⁽²⁾، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب خصفة بنخل، فأروا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله» قال: فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «من يمنعك؟» قال: كن خير آخذ، قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قال: أعاهدك على أن لا أفاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله فجاء إلى قومه، فقال: جئكم من عند خير الناس⁽³⁾ ومع ذلك لم يستغل رسول الله صلى الله عليه وسلم - هذا الموقف ويجبره على الإسلام . وإذا كان الأصل في علاقة المسلمين بالكافرين هو دعوتهم إلى دين الله فإن هذا لا يتم إلا باللين والسلم، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ⁽⁴⁾ وقوله تعالى: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ⁽⁵⁾ وقوله تعالى: الَّذِينَ تَتَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ⁽²⁹⁾ . عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ وَلَا عِزْلٌ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ⁽³⁰⁾، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم - قد عقد معاهدات سلمية مع زعماء القبائل والحكام غير المسلمين مثل الاتفاقيات السلمية التي وقعها مع نصارى نجران وآيلة ويهود تيماء وفدك وغيرهم⁽⁶⁾ وفي هذا الصدد يقول الشيخ فيصل مولوي مستشار في المحكمة الشرعية السنية العليا في بيروت: هذا الكلام يؤكد سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولناخذ المثل القاطع وهو صلح الحديبية بين الرسول صلى الله عليه وسلم - والمشركون في السنة السادسة للهجرة، لقد خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى مكة معتمرا ودعا المسلمين للخروج معه فخرج معه ألف وأربعمائة هم أكثر المسلمين إذ لم يتخلف عنه إلا المنافقون وربما عدد قليل من المسلمين الصادقين، معنى ذلك أن عدد المسلمين الذين استجابوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم - خلال تسع عشرة سنة - ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة وست سنوات في المدينة بعدها - لم يكن يزيد عن ألف وخمسمائة، فلما تم الصلح وعم السلام بين المسلمين والمشركون من قريش وأتيح للمسلمين عرض دعوتهم، وتوفرت للعرب فرصة التعرف على الإسلام دخل في دين الله الكثير، ... لقد دخل في

(1) أخرجه البيهقي، كتاب قسم الفيء والغنيمة، باب: إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية، ط1: 1344هـ، انظر: البيهقي، السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند حيدر آباد الدكن، 367/6 .

(2) 126 .

(3) سورة آل عمران، الآية: 159 .

(4) الآية: 256 .

(5) رضي الله عنه، رقم الحديث: 14929، انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق:

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1: 1998 193/23 .

(6) سورة البقرة، الآية: 208

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

الإسلام خلال سنة ونصف من أيام السلام أضعاف الذين دخلوا فيه خلال تسع عشرة سنة من أيام الصراع والحروب، ... الواقع التاريخي يؤكد إذاً أن السلام أفضل الظروف لنجاح الدعوة وانتشارها والحرب هي أسوأ الظروف بالنسبة لذلك⁽¹⁾ قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: وكثير من الجهلة كان يمسك السيف على المنبر إشارة إلى أن الدين إنما قام بالسيف، وهذا جهل قبيح من وجهين أحدهما: أن المحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم توكأ على العصا وعلى القوس. الثاني: أن الدين إنما قام بالوحي وأما السيف فلمحق أهل الضلال والشرك، ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب فيها إنما فتحت بالقرآن ولم تفتح بالسيف⁽²⁾. والمتتبع في كتاب الله عز وجل يجد أن له طريقاً فريداً من نوعه يدعو الناس إلى معرفة خالقهم عن طريق التدبر والتأمل في آيات الله الكونية مثل التدبر في صنع بديعه وإحكامه قال تعالى: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)⁽³⁾، وقوله أيضاً إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ⁽⁴⁾ وهناك آيات كثيرة تحت الناس على التدبر والتفكير فيها إذ في ذلك برهان ودليل على وجود إله واحد يحكم ويسير هذا الكون العجيب، وبذلك يصل الإنسان عن طريق وجدانه واستخدام عقله إلى معرفة خالقه، وبالتالي يعبد حق العبادة، من هنا نستنتج أن الإسلام انتشر عن طريق العلم والبرهان والحجة، بالإضافة إلى أسلوب الدعوة التي طريقها اللين والرفق والسلم والموعظة الحسنة والحكمة، وهذا مجسد في قوله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ⁽⁵⁾، وهناك بعض من علماء الديانات الأخرى دخلوا الإسلام عن علم وقناعة، يقول توماس أرلندوا:.. نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح⁽⁶⁾، يقول برناردشوا: إن الإسلام يستحق الاحترام والإجلال؛ لأنه أقوى من دين على هضم جميع المديانات، وهو خالد خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي من العلماء قد

(1) سورة الأنفال، الآية: 61.

(2) ية: 68.

(3) -رضي الله عنه- 266، نقلا عن مفهوم السلم في الفكر الإسلامي، دراسة تحليلية

31stat of conduct Muslim -محمد حيمد الله مقارنة بين الشريعة والقانون أطروحة دكتوراه تقدم بها الطالب محمد سيد نوري البازياني إلى مجلس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن لنيل درجة الدكتوراه في القانون الدولي، إشراف: أ.د محمد أحمد الهماوندي، 1427هـ-2006 210.

(4) فيصل مولوي، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، دار الرشاد الإسلامية-بيروت، ط1: 1987

25-24

(5) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، بيروت، ط3: 1998 182/1-183.

(6) سورة الغاشية، الآية: 17-26.

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب دخلوا هذا الدين على بيئة من أمرهم، ومستقبلاً سيجد هذا الدين مجاله الفسيح في كل أنحاء أوربا، وقد درست سيرة محمد فوجدته بعيداً عن مخاصمة المسيح، ويمكن بحق أن نعتبر محمد منفذاً للإنسانية، وأعتقد أن رجلاً مثله لو حكم العالم بآثاره وخلقه لجلب للعالم السلام والسعادة⁽¹⁾.

وأما الحرب فلا تكون إلا لدفع العدوان وحماية الدعوة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكانت سيرته صلى الله عليه وسلم أن كل من هادنه من الكفار لم يقاتله (أي سواء أكان من مشركي العرب أم من غيرهم)، وهذه كتب السير والحديث والتفسير والفقه والمغازي تنطق بهذا، وهذا متواتر من سننه فهو لم يبدأ أحداً من الكفار بقتال، ولو كان الله أمره أن يقتل كل كافر لكان يبتدئهم بالقتل والقتال، وأما النصارى فلم يقاتل أحداً منهم إلى هذه الغاية حتى أرسل رسله بعد صلح الحديبية إلى جميع الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فأرسل إلى قيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي وملوك العرب بالمشرك والشام فدخل في الإسلام من النصارى وغيرهم من دخل، فعمد النصارى بالشام فقتلوا بعض من قد كان أسلم من كبارهم، فالنصارى هم حاربوا المسلمين أولاً، وقتلوا من أسلم منهم بغيا وظلماً، وإلا فرسله أرسلهم يدعون الناس إلى الإسلام طوعاً لا كرهاً، لم يكره أحداً على الإسلام، فلما بدأه النصارى بقتل المسلمين أرسل سرية أمر عليها زيد بن حارثة، ثم جعفر، ثم ابن رواحة، وهو أول قتال قاتله المسلمون للنصارى بمؤتة من أرض الشام⁽²⁾، وبهذا الصدد يقول الدكتور محمد علي حسن: هل السلم هو الأصل في العلاقات الدولية في الإسلام؟ فيجيب بأن الإسلام حين قرر أن الجهاد هو لإعلاء كلمة الله ولتخليص الإنسانية من ظلم الأنظمة البشرية وإزالة الظلم - يعني: إرساء قواعد العدل، أي إرساء قواعد السلم والسلام، فالجهاد يمنع الظلم والاستبداد ويرفعه على بني الإنسان، وإن في هذا إعزازاً للسلم والسلام، وإذلاً للباطل...⁽³⁾. والمبحث الثاني يبين حقيقة السلم وكيف عامل الإسلام أعداء الدين أثناء وبعد الحرب، فهو بذلك يؤسس قواعد القانون الدولي الإنساني، فالإسلام قانون الرحمة والعدل والمساواة والإنصاف.

المبحث الثاني: المبادئ الإنسانية في التعامل مع الأعداء أثناء وبعد الحرب

إن المبادئ الإنسانية في التعامل مع الأعداء أثناء وبعد الحرب تكمن في وصية أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-، عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر الصديق بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وكان أمير ربيع من تلك الأرباع، فزعموا أن يزيد قال لأبي بكر: إما أن تتركب وإما أن أنزل. فقال أبو بكر: ما أنت بنازل وما أن براكب، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله، ثم قال له: إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قوماً فحسوا عن أواسط رؤوسهم من الشعر فاضرب ما فحسوا عنه بالسيف، وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا

(1) سورة البقرة، الآية: 164.

(2) سورة النحل، الآية: 125.

(3) ناصر محمدي محمد جاد، التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، قدم له: أ.د. محمد السيد الجليند، دار الميمان، ط1: 2009 352.

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

كبيراً هرباً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بغيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تغرقنه، ولا تغل، ولا تجبن⁽¹⁾.

المطلب الأول: المبادئ الإنسانية في التعامل مع الأعداء أثناء الحرب

الفرع الأول: منع قتال الصبيان والشيوخ والنساء

لما أذن الله عز وجل القتال للمسلمين إنما كان لدفع الاعتداء ونصرة المظلوم والدفاع عن الدعوة إلى الله، قال الله تعالى: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) وَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ تَقْفُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191) فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ⁽⁴²⁾، ونبينا عليه الصلاة والسلام يجعل شروطاً للمسلمين عند الالتقاء بالعدو ويحثهم على عدم مقاتلة من لا يقاتلهم، كما ينهاهم عن قتال الصبيان والشيوخ والنساء، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَنَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ⁽²⁾، يدل الحديث على نهى قتل النساء والصبيان أثناء الحرب؛ لأنهم ليسوا أهلاً للقتال، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة»⁽³⁾، قال الإمام محمد أبو زهرة: والشيوخ قسمان: قسم يدبر الحرب بالرأي والتخطيط، وهذا يباح قتله في الميدان؛ لأنه مقاتل برأيه وتدبير، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم - بقتل دريد بن الصمة في غزوة حنين، وقد بلغ من الكبر عتياً، ولكن كان له رأي وفيه وعي، وأشار على بني تقيف الذين كانوا يقاتلون بما يقويهم، والقسم الثاني لا رأي له في الحرب فلا يقتل⁽⁴⁾.

الفرع الثالث: معاملة رجال الدين

وهو أول ما أوصى به أبو بكر رضي الله عنه - في وصيته، حيث كان حريصاً على حماية رجال الدين الذين لا يقاتلون، وقبل ذلك هي وصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - فعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيوشه قال: «لا تقتلوا أصحاب الصوامع»⁽⁵⁾، أما الذين يستترون برداء الدين ولكنهم في الواقع مقاتلون، يقول محمد أبو زهرة: رجال الدين قسمان

(1) المرجع نفسه، ص 352.

(2) ابن تيمية، رسالة في قتال الكفار -، كتبه سليم الصنيع، رقم: 1684 - 6.

(3) محمد علي حسن، العلاقات الدولية في القرآن والسنة، مكتبة النهضة الإسلامية. 1982: 2 624-623.

(4) سورة البقرة، الآية: 190-193.

(5) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: قتل النساء في الحرب، رقم الحديث: 3015، انظر: البخاري، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محب الدين الخطيب، محب الدين الخطيب، المطبعة اسلفية-القاهرة، ط1: 1403 هـ، 362/2.

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

القسم الأول: أولئك الذين التزموا دور العبادة لا يقتلون ولا يفتنون الناس في دينهم، وهؤلاء يحمون وتحمى عبادتهم ولا يتعرض لهم . ويقول السرخسي في تعليل منع قتل هؤلاء: إن المبيح للقتل شرهم من حيث المحاربة، فإذا أغلقوا الباب على أنفسهم اندفع شرهم مباشرة وتسبباً .

وأما القسم الثاني: فهم أولئك الذين وصفهم الصديق بأنهم حلقوا أوساط رؤوسهم، وتركوا من شعورهم ما يشبه العصائب، وهؤلاء قرر أنهم يقتلون، وروى أنه قال فيهم: فاضربوا منهم مقاعد الشيطان (1) ولما خص الصديق هؤلاء بالقتل؟ لقد أجمع كتاب السير وأجمع الفقهاء على أن هؤلاء كانوا يشتغلون فعلاً بالقتال وهم الذين كانوا يحرضون على المؤمنين، ويظهر من وصفهم كما أشرنا أنهم من الرومان المتحكمين في رقاب أهل الشام باسم الدين، والذين كانوا يحاولون فرض المذهب الروماني المسيحي على الشرق (2) .

الفرع الثالث: منع قتال العمال

أكد النبي صلى الله عليه وسلم - في نهيه عن قتل العسفاء وهم الأجراء أو العمال الذين يستأجرون للعمل ولا يحاربون، حيث قال: «لا تقتل ذرية ولا عسيفا» (3)؛ لأن الحرب محصورة في دائرة من يقاتل، والقتال من الجانب الإسلامي هو دفع قوى الشر والفساد، وهذه القوى محصورة في الذين يعملون بسيوهم في الميدان أو يرسمون ويدبرون الخطط، وإن هؤلاء العمال كانوا مستضعفين تحت سلطان الغاشمين، وهم فريسة الظلم فلا يصح أن يكون وقود الحرب ويكتون بنارها وليسوا من جناتها (4) .

الفرع الرابع: منع التخريب والدمار الشامل

لا يجوز للمسلمين التخريب في الحرب من قطع الأشجار وتحريق البيوت وتخريبها، ودليل ذلك ما جاء في وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه - ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تغرقنه (5)، لكن إذا كانت هذه الأشجار والبيوت تمنع المسلمين من قتال الأعداء والوصول إلى غايتهم يجوز تخريبها وإحراقها لقوله تعالى: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (6)، قال عبد الرحمان بن ناصر السعدي: ولما لام بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم - والمسلمين في قطع النخيل والأشجار، وزعموا أن ذلك من الفساد، وتوصلوا بذلك إلى الطعن بالمسلمين، أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إبقاءهم إياه إن أبقوه إنه بإذنه تعالى،

(1) رواه مالك، كتاب الجهاد، باب: النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، رقم الحديث: 982 :

برواية يحيى بن يحيى بن كثير، ضبط وتوثيق: محمد صدقي العطار، المكتبة الشرقية - 2010 :1 216

(2) الزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية، مع حاشيته النفيسة المهمة، بغية الأملعي في تخريج الزيلعي، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان-جدة، (د.ب.ط)، رقم الحديث: 5781 386/3 .

(3) محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، 1995: 105 .

(4) أخرجه ابن أبي شيبة، كتاب السير، رقم الحديث: 33679، انظر: ابن أبي شيبة المصنف، تقديم: سعد بن عبد الله آل حميد، تحقيق: حميد بن عبد الله جمعة، محمد بن إبراهيم اللحيان، مكتبة الرشد ناشرون-الرياض، ط1: 2004 381/11 .

(5) سبق تخريجه .

(6) محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، ص 104 .

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

وأمره وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ⁽¹⁾ حيث سلطكم على قطع نخلم، وتحريقها، ليكون ذلك نكالا لهم، وخزيا في الدنيا، وذلا يعرف به عجزهم التام الذي ما قدروا على استنقاذ نخلم الذي هو مادة قوتهم . واللينة: اسم يشمل سائر النخيل على أصح الاحتمالات وأولها، فهذه حال بني النضير، وكيف عاقبهم الله في الدنيا⁽²⁾ . يقول محمد أبو زهرة: والخاصة التي انتهينا إليها بعد مراجعة أوجه النظر المختلفة ومراجعة مصادر الشريعة ومواردها ما يأتي:

أولا: أن الأصل هو عدم قطع الشجر وهدم البناء؛ لأن الغرض من الحرب دفع الأذى الحاكم الظالم لا إيذاء الرعية .

ثانيا: إذا تبين أن قطع الشجر وهدم البناء ضرورة حربية لا مناص منها حين يستتر العدو بها ويتخذ منه وسيلة لإيذاء الجيش الإسلامي فإنه لا مناص من قطع الشجر وهدم البناء وليست في ذاتها أعز من الأنفس التي تزهق في الميدان، وقد فعل ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم - .

ثالثا: أنه يخرج كلام الفقهاء الذين أجازوا قطع الشجر وتخريب العمران على أنه مقصور على هذه الضرورة، ولا يتصور أنهم قصدوا التخريب لذات التخريب وخصوصا أنه كان الغالب أن الأرض تعود إلى المسلمين⁽³⁾ .

المطلب الثاني: المبادئ الإنسانية في التعامل مع الأعداء بعد الحرب

الفرع الأول: التعامل مع القتلى والجرحى والمرضى

أولا: التعامل مع القتلى

ويمكن في احترام جثث القتلى، فإنه يحرم التعذيب والتمثيل بالقتلى، قَالَ قَتَادَةُ: «بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم - بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ يَحُثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُثَلَّةِ»⁽⁴⁾، يقول المستشار علي علي منصور: قواعد الإسلام لا تمنع كل ما اتفق عليه بين الدول حديثا في هذا الشأن فقد نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - عن المثلة ولو بالكلب، والمثلة هي التمثيل بجثث الموتى من الأعداء، بل إنه صلى الله عليه وسلم أمر بدفن قتلى المشركين في غزوة بدر، ووقف القتال فترة حتى يسترد كل فريق جرحاه وقتلاه....، وفي صدد الكلام عن تحريم المثلة بجثث الأعداء نذكر ما جرى عليه العمل في الحروب في الدول جميعا قبل الإسلام من حمل رؤوس بعض قتلى الأعداء إلى الملوك وحدث أن فعل ذلك عقبة بن عامر الجهني، حيث حمل إلى أبي بكر رأسا فأنكر عليه ذلك، فقال عتبة يا خليفة رسول الله إنهم يفعلون بنا ذلك، فقال له: ما معناه، إنه

(1) أخرجه النسائي وابن ماجه عن سفيان الثوري عن أبي الزناد عن المرقع بن صفي عن حنظلة الكاتب، ورواه أيضا أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه، وقال: هذا الخبر سمعه المرقع بن صفي عن حنظلة الكاتب، وسمعه من جده رباح بن الربيع، والخبران محفوظان انتهى، انظر: الزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية، 388/3 .

(2) محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، ص 105 .

(3) سبق تخريجه .

(4) سورة الحشر، الآية: 5 .

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

فسق لا يصلح للمسلم أن يجاري فيه الكافر، وكتب إلى قواده يقول: لا يحمل إلي رأس وإلا فقد بغيتم؛ أي جاوزتم الحد للتشفي ولكن يكفيني الكتاب والخبر (1).

ثانياً: معاملة المرضى والجرحى

إن الإنسانية تقتضي من المسلمين بعد نهاية الحرب العناية بشأن مرضى وجرحى العدو؛ لأن الإسلام ينهى عن مقاتلة من لا يقاتل، ولا شك أن مرضى وجرحى العدو يدخلون في هذا الشأن. ولذلك نجد نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا لا يجهزن على جريح ولا يتبعن مدبر، ولا يقتلن أسير ومن أغلق عليه بابه فهو آمن» (2).

الفرع الثاني: التعامل مع الأسير

إن من آداب الحرب المحافظة على كرامة الإنسان لقوله تعالى: ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً (3) وكرامة الإنسان تتمثل في حفظ حقوقه وعدم إهانته ورفع الظلم عنه، ولا شك بعد نهاية الحرب يكون هناك أسرى، فديننا الحنيف لم يهمل ذلك وأمرنا أن نعامل الأسرى أحسن معاملة، والله عز وجل في كتابه الكريم قرنهم مع المساكين واليتامى قال تعالى: ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً (4) وهي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «استوصوا بالأسارى خيراً» (5).

قال الدكتور حامد محمد الخليفة: فمن حق الأسير في أخلاق الحرب عند المسلمين كفايته من الطعام والشراب واللباس والمأوى والتحدث معه والرد على أسئلته وتلبية متطلباته المشروعة واحترام معتقده وعدم إجباره على تغيير دينه وعدم تعذيبه وإكراهه على ما لا يريد القيام به، وعدم التصرف في شأنه إلا بعلم ولي الأمر، فالأسير منذ أن يقع في الأسر يصبح تابعا لمن أسره، وعلى مسؤولية القوة التي وقع في قبضتها، وإذا تم إطلاق سراحه لاحقاً، فيجب أن تحفظ له سبل العودة الآمنة إلى دياره (6).

الخاتمة:

ما يمكن أن يستخلص من هذا البحث النتائج التالية:

1- الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم من غير المسلمين هو السلم لقوله تعالى: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (7)، أما الحرب إنما شرعت لرفع العدوان الخارجي الذي يحيط بالأمة ويترصد بها لقوله تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُتَفَقَّوْا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (8).

(1) سورة الحشر، الآية: 5.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، ص 921

(3) محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، ص 108.

(4) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قصة عكّل وعريثة، رقم الحديث: 4192 133/3.

(5) علي منصور، الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، ص 330.

(6) أخرجه ابن أبي شيبة، كتاب الجمل، رقم الحديث: 38786، انظر: ابن أبي شيبة المصنف، 248/14.

(7) سورة الإنسان، الآية: 8.

(8) سورة البقرة، الآية: 256.

مساهمة الإسلام في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء وبعد الحرب

2- الإسلام انتشر باللين والمعاملة الحسنة، وعدم إكراه الناس في دخولهم لهذا الدين لقوله تعالى: لا إكراه في الدين⁽¹⁾، والمتتبع في آيات الله يجد أن الله عز وجل يدعو الناس إلى معرفة خالقهم عن طريق التفكير والتأمل في آيات الله الكونية والتدبر في صنع بديعه وإحكامه، وهذا كثير في كتابه مثل: أفلا تعقلون، أفلا تتفكرون، أفلا تتدبرون...

3- الإسلام ساهم كثيرا في تأسيس قواعد القانون الدولي الإنساني، ووصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه- أنموذجا في ذلك، إذ نجد أن نصوص الاتفاقيات أخذت من هذه الوصية فمثلا اتفاقية جنيف 1949 تنص على ما يلي: يرتكز نظام الحماية الذي تكفله اتفاقيات جنيف على مبدأ أساسي هو وجوب احترام وحماية الأشخاص المشمولين بالحماية في جميع الظروف ومعاملتهم معاملة إنسانية دون أي تمييز ضار يقوم على أساس الجنس أو العنصر أو الجنسية أو الدين أو الآراء السياسية أو أي معايير مماثلة أخرى (المادة 12 من الاتفاقيتين الأولى والثانية و16 من الاتفاقية الثالثة و27 من الاتفاقية الرابعة)⁽²⁾، وهذا الوصف يضم عدة أصناف هم: الجرحى والمرضى والنساء والذرية والشيوخ والرهبان والرسول والأسرى، وهؤلاء نصت الاتفاقيات الدولية وعلى الأخص في لاهاي اتفاقية 1899 وما قبلها وما بعدها، وأخيرا اتفاقيات جنيف الأربع التي كانت تكريسا لاتفاقيات سابقة بشأن النظر بعين الإنسانية لمن ضعف عن الحرب⁽³⁾.

(1) حامد محمد الخليفة، أخلاق وآداب الحرب في عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم - 2009 245.

(2) -فريتس كالهوقن، ليزابيث تسغفلد، ضوابط تحكم خوض الحرب- مدخل للقانون الدولي الإنساني، ترجمة: أحمد عبد العليم العليم -اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ط: 2004 62.

(3) ضو مفتاح غمق، نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام، دار الكتب الوطنية - 1426هـ، ص231.